الطَّريق إلى الكَنْز

تأليف : أحمد عبد الرحيم
رسم: فاطمة الفريش



كانَ «حَسَن» يَعْشَقُ القِراءَةَ واقْتِناءَ الكُتُب. وذاتَ يَوْمٍ، جَلَسَ كَيْ يَقْرَأَ كِتابًا قَديمًا جِدًّا عَنِ الكُنوز، اشْتَراه مُنْذُ فَتْرَةٍ. وفي أثْناءِ قِراءَتِه، صادَفَ ما جَعَلَ عَيْنَيْه تَتَّسِعُ وأنفاسَهُ تَتَلاحَق، لِيَشْهَقَ قائِلًا: «يا إلَهي!!!».

لَقَدِ اكْتَشَفَ وَسْطَ صَفَحاتِ الكِتابِ خَريطَةً صَغيرَةً مُهَلْهَلَةً، مَرْسومًا عَلَيْها الطَّريقَ إلى كَنْزٍ يُسَمّى «كَنْز السَّعادَة».

كانَ ذَلِكَ مُثيرًا، لَكِنَّ الأَكْثَرَ إثارَةً أنَّ مَكانَ الكَنْزِ ـ وِفْقَ هَذِهِ الخَريطَةِ ـ هُوَ أرْضُ خَلاءٍ قَريبَةٌ مِنْ بَيْتِه!



هَبَّ «حَسَن» واقِفًا، وقَرَّرَ الاتِّجاهَ إلى تِلْكَ الأرْضِ فَوْرًا. وفي خِلالِ خُروجِهِ مِنْ غُرْفَتِه، اسْتَوْقَفَتْهُ أُخْتُهُ الصُّغْرى «هُدى»، مُشيرَةً إلى مَشْبَكِ شَعْرٍ عَلى شَكْلِ فَراشَةٍ اشْتَرَتْهُ هَذا الصَّباح، قائِلَةً: «أُنظُرْ يا أخي إلى مِشْبَكِ شَعْري الجَديد. إنَّهُ جَميلٌ لِلغايَة!».

لَكِنَّ «حَسَن» لَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْها، إذْ كانَ مُسْتَغْرِقًا في تَخَيُّلِ الثَّرَواتِ الَّتي سَيَنالُها مِنْ وَراءِ كَنْزِ السَّعادَة.



وفي أثْناءِ عُبورِهِ بِجِوارِ الشُّرْفَة، كانَ والِدُهُ يَسْتَعِدُّ لِدِهانِ الشُّبّاكِ الخَشَبِيِّ الخاصِّ بِها. فَسَألَ وَلَدَه: «أنخْتارُ لِلدِّهانِ اللَّوْنَ الأزْرَقَ أمِ البَنَفْسَجِيِّ أمِ الأخْضَر؟ أنا أُحِبُّ البُنِّي، فَهُوَ لَوْني المُفَضَّل. لَكِن، ما رَأْيُكَ أنتَ؟»...

لَكِنَّ «حَسَن» لَمْ يَسْتَمِعْ إلى سُؤالِ والِدِه، لِأنَّهُ كانَ مُنْشَغِلًا بِكَيْفِيَّةِ حَمْلِهِ لِلثَّرَواتِ الَّتي سَيَنالُها مِنْ كَنْزِ السَّعادَة!



وحينَ اقْتَرَبَ مِنْ بابِ المَنْزِل، طَلَبَتْ إِلَيْهِ أُمُّه: «يا حَسَن، اشْتَرِ لَنا سَبانِخَ مِنَ السّوق، حَتّى نَطْبُخَها عَلى الغَداء».

لَكِنَّ «حَسَن» خَرَجَ مِنَ البابِ سارِحًا، يُفَكِّرُ في الأغْراضِ الَّتي سَوْفَ يَشْتَريها بَعْدَ أنْ يَجِدَ كَنْزَ السَّعادَة!



أخَذَ «حَسَن» يَمْشي حَتّى وَصَلَ إلى الأرْضِ الَّتي أشارَتْ إلَيْها الخَريطَة. وهُناك، بَدَأَ يَبْحَثُ عَنِ المِفْتاحِ الَّذي تَقولُ الخَريطَةُ إنَّهُ لازِمٌ لِإيجادِ الكَنْز.

وبَعْدَ ثَوانٍ قَليلَةٍ، انْتَبَهَ إلى صَوْتٍ يُرَحِّبُ بِهِ قائِلًا: «أهْلًا بِكَ!». الْتَفَتَ «حَسَن»، لِيَجِدَ أنَّ صاحِبَ الصَّوْتِ رَجُلٌ عَجوزٌ، يَرْتَدي مَلابِسَ أنيقَةً ولَكِنْ مِنْ عَصْرٍ فات، ويَبْدو كَأنهُ ظَهَرَ مِنْ وَسْطِ الهَواء.



فَجْأةً، سَألَهُ «حَسَن»: «مَنْ حَضْرَتُكَ ؟!»، فَأجابَهُ الرَّجُل: «أنا المِفْتاحُ الَّذي سَيوصِلُكَ إلى كَنْزِ السَّعادَةِ الَّذي تَبْحَثُ عَنْه...»، ثُمَّ أضافَ باسِمًا: «كَما أنَّ اسْمي مِفْتاح أيْضًا!».

فَابْتَهَجَ «حَسَن»، وسَألَ مَلْهوفًا: «وأيْنَ الكَنْزُ يا عَمُّ مِفْتاح ؟!»، فَأخْبَرَهُ العَجوز: «إذا أرَدْتَه، فَعَلَيْكَ أنْ تُمارِسَ لُعْبَتي». فَهَزَّ «حَسَن» رَأْسَهُ مُوافِقًا بِحَماسَةٍ: «ألْعَب!».



سَألَه العَجوز: «هَلْ تَعْرِفُ أسَدَ المَنَّ؟». فَأجابَهُ «حَسَن» بِسُرْعَةٍ: «إنَّهُ حَشَرَةٌ صَغيرَةٌ نافِعَةٌ، تَتَغَذّى على الحَشَراتِ المُضِرَّةِ بِالنَّبات». فَابْتَسَمَ العَجوزُ راضِيًا، وأخْبَرَ «حَسَن»: «هَذا صَحيح، تَكْسَبُ دَرَجَةً!».

وما إنْ أتَمَّ كَلِمَتَه، حَتّى ظَهَرَتْ أمامَ أقْدامِ «حَسَن» دَرَجَةُ سَلَّمٍ لامِعَةٌ!

اسْتَغْرَبَ «حَسَن» ذَلِك، فَأخْبَرَهُ الرَّجُل: «مَعَ كُلِّ إجابَةٍ صَحيحَةٍ، سَتَكْسَبُ دَرَجَةً لامِعَةً تَرْفَعُكَ إلى أعْلى، وتَقْتَرِبُ بِكَ مِنْ كَنْزِ السَّعادَة». فَهَتَفَ «حَسَن» مُبْتَهِجًا: «رائِع!».



ثُمَّ أكْمَلَ الرَّجُلُ مُحَذِّرًا: «أمّا إذا أجَبْتَ إجابَةً خاطِئَةً فَسَتَخْسَرُ دَرَجاتٍ عَديدَةً!». لَكِنَّ «حَسَن» أشارَ لِنَفْسِهِ قائِلًا في فَخْرٍ: «أنْتَ لا تَعْرِفُني، فَأنا وَلَدٌ مُثَقَّفٌ، أقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ ما يُثْري مَعْرِفَتي مِنَ المَعْلوماتِ العامَّة!». فَهَزَّ العَجوزُ رَأْسَهُ مُطَمْئِنًا، وقال: «حَسَنًا، فَلْنُباشِرْ لُعْبَتَنا».

تَوالَتِ السّاعات، و«حَسَن» مُنْهَمِكٌ في تِلْكَ اللُّعْبَة، مِنْ دونِ أنْ يَخْسَرَ دَرَجَةً واحِدَةً. وبَيْنَما كانَ فَوْقَ أعْلى دَرَجاتِ السُّلَّم، الَّذي وَصَلَ امْتِدادُهُ لِارْتِفاعٍ مُبْهِرٍ، سَألَهُ العَجوز: «هَلْ تَعْرِفُ حَيوانَ الشَّمْواه؟»، فَأجابَ «حَسَن»: «إنَّهُ حَيَوانٌ، ابْنٌ لِلغَزالِ والماعِزِ الجَبَلِيّ».

وما إنْ أكْمَلَ إجابَتَه، حَتّى ظَهَرَتْ أمامَ قَدَمَيْهِ دَرَجَةٌ جَديدَةٌ لامِعَةٌ، لِيَصْعَدَ فَرِحًا غَيْرَ مُصَدِّقٍ أَنَّهُ يَدْنو مِنَ الكَنْزِ العَظيم!



وبَعْدَ ساعاتٍ أُخْرى، عَلا السُّلَّمُ وعَلا فَوْقَ السَّحاب، مُمْتَدًّا لِمِئاتِ الدَّرَجاتِ المُنيرَة، حَتّى تَجاوَزَ الكَوْكَبَ نَفْسَه.

وبَيْنَما كانَ «حَسَن» أعْلاه، هَتَفَ مُتَفائِلًا: «أشْعُرُ أنَّ الكَنْزَ صارَ عَلى بُعْدِ خَطَواتٍ يا عَمُّ مِفْتاح!».



فَفَكَّرَ العَجوزُ في شَيْءٍ ما، مُرَدِّدًا بَيْنَهُ وبَيْنَ نَفْسِه: «يَبْدو أنَّ الوَقْتَ قَدْ حان...»، ثُمَّ سَألَ «حَسَن» بِصَوْتٍ عالٍ: «هَلْ تَسْتَطيعُ يا بَطَل، أنْ تُخْبِرَني الآنَ ما هُوَ شَكْلُ مِشْبَكِ شَعْرِ أُخْتِكَ ؟!».

رَدَّ «حَسَن» مُحْرَجًا: «بِصَراحَة، لا أعْرِف!».

فَقالَ العَجوزُ بِحَسْمٍ: «إذًا، تَخْسَرُ مِئَةُ دَرَجَةٍ!».

وما إنْ نَطَقَ بِذَلِك، حَتّى اخْتَفَتْ مِئَةَ دَرَجَةٍ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ «حَسَن» الَّذي صَرَخ: «لاااااا!».



فَقَدَ السُّلَّمُ المُرْتَفِعُ جُزْءًا كَبيرًا مِنْ دَرَجاتِه، ووَقَعَ «حَسَن» فَوْقَ ما تَبَقّى مِنْهُ. فَسَأَلَهُ عَمُّ «مِفْتاح» سُؤالًا جَديدًا: «هَلْ تَعْلَمْ ما هُوَ اللَّوْنُ المُفَضَّلُ لِأبيكَ؟!».

فَصاحَ «حَسَن» مُعْتَرِضًا: «هَذا سُؤالٌ شَديدُ الصُّعوبَة!».

فَقالَ عَمُّ «مِفْتاح»: «إذًا، تَخْسَرُ مِئَةَ دَرَجَةٍ أُخْرى!»...

واخْتَفَتِ الدَّرَجاتُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ «حَسَن» لِيَسْقُطَ صارِخًا بِمَرارَةٍ.



جاءَ صَوْتُ عَمِّ «مِفْتاح» سائِلًا هَذِهِ المَرَّة: «هَلْ تَتَذَكَّرُ نَوْعَ الخُضارِ الَّذي طَلَبَتْهُ إلَيْكَ والِدَتُك حينَ خُروجِكَ مِنَ المَنْزِل ؟!».

فَحاوَلَ «حَسَن» التَّذَكُّر، لَكِنَّ كُلَّ ما وَصَلَ إلَيْهِ أنَّه لَمْ يَسْمَعْ كَلامَ والِدَتِهِ جَيِّدًا لِانْشِغالِهِ بِالتَّفْكيرِ في الكَنْز.

لِذَلِك، اضْطُرَّ أنْ يُجيبَ حَزينًا: «إنَّني لا أعْرِفُ إجابَةَ هَذا السُّؤالِ أيْضًا...».

فَتَأَسَّفَ عَمُّ «مِفْتاح» مُعْلِنًا: «يا خَسارَة... راحَتْ مِنْكَ مِئَةُ دَرَجَةٍ أُخْرى!».



وما إنِ اخْتَفَتِ الدَّرَجاتُ منْ تَحْتِ قَدَمَيْ «حَسَن»، حَتّى اكْتَشَفَ أنَّها كانَتِ الدَّرَجاتِ الأخيرَةَ الَّتي يَمْلِكُها، ما دَفَعَهُ أنْ يَسْقُطَ عَلى الأرْضِ عائِدًا إلى نُقْطَةِ البِدايَة!

نَظَرَ «حَسَن» إلى السَّماءِ مُتَألِّمًا لِتَلاشي السُّلَّمِ تَمامًا، ثُمَّ ظَهَرَ عَمُّ «مِفْتاح» لِيَقول: «أرَأيْتَ كَيْفَ أنَّكَ لَمْ تُجِبْ عَنِ الأسْئِلَةِ الأكْثَرِ أهَمِّيَّة؟!».

تَعَجَّبَ «حَسَن» مِنْ جُمْلَتِهِ غَيْرَ فاهِمٍ مَقْصَدَه، فَأجابَهُ العَجوز: «يا بُنَيّ، الكَنْزُ مَوْجودٌ. لَكِنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ الوُصولَ إلَيْهِ مِنْ دونِ حُبِّ أُسْرَتِكَ».



فَحاوَلَ «حَسَن» الدِّفاعَ عَنْ نَفْسِه: «لَكِنَّني أُحِبُّ أُسْرَتي فِعْلًا!». فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَمُّ «مِفْتاح» مُعاتِبًا، ثُمَّ سَأَلَه: «كَيْفَ تُحِبُّهُمْ وأَنْتَ لا تَهْتَمُّ بِما يَقولونَهُ لَكَ أَوْ تَسْمَعُهُ مِنَ الأساس؟! إِنَّكَ حَتّى لَمْ تُخْبِرْهُمْ بِأَمْرِ الخَريطَةِ حينَ وَجَدْتَها، وفَضَّلْتَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِها لِنَفْسِكَ فَقَط!».

هُنا، لَمْ يَجِدْ «حَسَن» أَيَّ رَدٍّ. فَلَقَدْ رَأى بِوُضوحٍ أَنانِيَتَه، وعَدَمَ اكْتِراثِهِ بِأَقْرَبِ النّاسِ إِلَيْه. ولَمّا أَوْجَعَهُ النَّدَم، اعْتَرَفَ بِخَطَئِهِ، ولامَ نَفْسَه.


لَكِن، الْتَفَتَ إلى العَمِّ «مِفْتاح» كَيْ يَشْكُرَ لَهُ تَنْبيهَهُ لِغَلْطَتِه، لَمْ يَجِدْهُ أَمامَهُ وكَأَنَّهُ تَلاشى في الهَواء!



وبَيْنَما كانَ «حَسَن» يَسيرُ مَذْهولًا، سَمِعَ أَصْواتًا تُنادي مِنْ بَعيدٍ: «يا حَسَن، يا حَسَن!!!»...

وَجَدَ «حَسَن» أباه، أُمَّهُ وأُخْتَهُ يَجْرونَ ناحِيَتَهُ سائِلينَ إيّاهُ في شَوْقٍ: «أيْنَ كُنْتَ طوالَ هَذِهِ المُدَّة؟ لَقَدْ بَحَثْنا عَنْكَ في كُلِّ مَكانٍ!». فَهَرَعَ ناحِيَتَهُم، واحْتَضَنَهُمْ جَميعًا، مُعْتَذِرًا إلَيْهِم: «أنا آسِف... لَكِنِ اِطْمَئِنّوا، مِنَ اليَوْمِ لَنْ أبْتَعِدَ مِنْكُمْ ثانِيَةً».

وفي أثْناءِ مُغادَرَتِهِمِ المَكانَ مَعًا عائِدينَ إلى مَنْزِلِهِم، كانَ عَمُّ «مِفْتاح» يَتَطَلَّعُ مِنْ بَعيدٍ إلى تِلْكَ السَّعادَةِ الَّتي تَشُعُّ مِنْهُم، وتُحيطُ بهم...





الموضوع: المغامرة، الاهتمام بالآخر، المثابرة

هَذِهِ المَرَّة، الفَوْزُ بِالكَنْزِ لا يَحْتاجُ إلى سَفَرٍ بَعيدٍ أَوْ مُواجَهَةِ وُحوشٍ...
وإنَّما إلى شَيْءٍ آخَرَ تَمامًا...
فَما هُوَ يا تُرى؟!

أ
ب
ج
د
هـ
و
ز
ح
ط
ي
ك
ل
م
ن
س
ع
ف
ص
ق

معايير "عربي 21" وهنادا طه



